مركز نماء للبحوث والدراسات
Namaa Center for Research and Studies
نماء وانتماء

أوراق نماء (٨٣)

العُلماءُ والعُلُوم

[دراسة تحليليّة لبواعث طلب المعرفة ودوافعها]

خبّاب بن مروان الحمد

WWW.NAMA-CENTER.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

حيثما يمّم طالب العلم وجهه لقراءة سِيَرِ قامات علميّة؛ للوصول إلى أفياء ساحاتهم، فسيجد ما وراء السديم مواقف وقصصاً؛ تحكي كيفيّة نشأة همّة علميّة؛ وطريقة توثب إرادة حديديّة، فإذا بهم يكتسون لحاف العلم، ويرتدون كساء الحِلم، ويستنطقون العقل بإشارات الفهم؛ فكانت هذه الرغائب العلمية، والدوافع المعرفيّة، داعية للصعود في مدارج الترقي العلمي.

طالما قرأنا سيرة بعض العلماء ومواقفهم وأسباب نشأتهم؛ وطريقة تحمّلهم للعلم؛ لكنّنا نُشيح عن البحث في كينونة تلك الاستفزازات النفسيّة والدوافع السببيّة ليقذف الله في قلوبهم المضي قُدُماً في طريق العلم وقطار المعرفة ومعاناة ميادين الكفاح العلمي.

لستُ شاكاً أنّ حديثاً عن ذلك ستنفتح له شهيّة طالب العلم؛ لكنّ المُراد أن يكون هذا المرقوم مستنهضاً لطلبة العلم بعد وجادة أخبار الجادين علمياً؛ لسلوك جادّة طلبيّة تتفرّع عنها معارفهم، في وقت نرى الأرض تنتقص من العلماء الأكابر، ونرى كثرة الحروب تُداهمنا من كل جانب، وكثرة المُزهّدين في العلم والنافخين فيما سواه، واستكثار بضاعة قُصّاص جُدد من وعاظ ودعاة لم يبلُ العلم أخبارهم؛ فتصدّروا للتعليم حتّى تصدّعت رؤوس العلماء من هول ما رأوه منهم، وقبلئذٍ نلحظ أنّ كثيراً مِمّن سلك سبيل العلم لا يستكمل نُموّه العلمي، فيكتفي بمدّة مُحدّدة؛ ثم تتقاصر الهمم، فلعلّ أطروحة كهذه تستزيد هِمم طلبة العلم نشاطاً وحماسا؛ لسلوك طريق العلم مع استعداد نفسي يؤهّلهم لاستمداد كواشف أنوار العلم لظلامات الجهل..

إنّه استفزاز منهجي لا عاطفي، فمن يستكمل الطريق العلمي يعلم أنّه ليس مُجرّد نُزهة أو رحلة، بل إنّها رحلة لا تُنال إلاّ على جسر من تعب الذهن والجسد والنفس، فالذهني من كَدٍ، والجسدي من كَبدٍ، والنفسي من جُهدٍ؛ فحلاوة العلم لا تُنال إلاّ بمرارة الألم، وكُلّ ألم يرفعه إلى أمل، من أرض مفروشة إلى ظلال معروشة؛ بهمّة تنطح الثريا، وعزم يقول هيّا؛ وموج هادر يُناغي السحاب العاصر.

بدائةٌ تُفيد الآبه

لابدَّ من إطلالة دائمة تأمّلية للوقوف على مواقف خلّد التاريخ ذكرها لعلماء كان لهم مواقف غيّرت مسار حياتهم؛ فقلبتها من غفلة الجهل إلى طلب العلم؛ فطالما تعلّم المرء من موقف ما لا يتعلّمه من ألف مُحاضرة ولا درس؛ إذ الموقف يؤثّر في النفسيّة حتّى تعتلج في دواخلها يقظات تقمع الغفلات.

إنّ المواقف هاته تصنع في القلب صُنْعَتَهَا حين تُلامسُ قراراً لها يُخرجها عن دوائر الجهل إلى محافل العلم، وقد تختلف الدوافع المعينة على ذلك، والأسباب المُشجّعة، فهنالك أسباب جديرة بالاهتمام والتنويه والدراسة، ونقرأ أسباباً في توجّه بعضهم إلى العلم نعجب منها؛ كأسباب دخول فئة من غير المسلمين إلى الإسلام، إذ إنّها تختلف من حيث الأهميّة؛ مع كون بعضها أسباباً غريبة؛ لكنّ الله وفّق صاحبها للدخول في سلك الإسلام؛ فيُوفّق غيرهم من أهل الإسلام لسلوك طريق العلم بأسباب تُستغرب كذلك!

لقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم موقفاً عجيباً ودافعاً جوهرياً في تعلُّم الإنسان من الحيوان الطائر كيفيّة مواراة الجسد في الثرى؛ فقد قتل ابن آدم أخاه ولم يدفنه:{ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} [سورة المائدة: ٣١] فكان الغراب سبباً في تعلّم الأخ دفن أخيه بعد أن قتله، وتألّم قلبه من سوء فعلته، وليس عجيباً أن يحكي بعض الحُكماء أنّ من أعظم دوافع التعلُّم الألم؛ إذ هو أقوى دافع للتغيير نحو الأفضل.

لئن كان دافع المعرفة عند أهل الحداثة هو الخوف من الطبيعة؛ فاعتبروها أداة للسيطرة عليها؛ ليكون الإنسان سيداً للكون بتعبير "ديكارت"؛ أو على حد نظرة "برتراند رسل" الذي يرى أنّ العمل ينمو داخليا دون نضج بانتقاله من التأمل إلى التحكم؛ لأن باعث العلم إما حب للمعرفة وإمّا للسيطرة عليها؛ فإنّ العلم والمعرفة عند المسلمين مُغايرة بطبعها؛ ذلك أنّ غايتها البدائيّة استكشاف المجهول، ومعالجة الواقع بأنوار العلوم الصحيحة؛ والغاية النهائيّة الوصول إلى رضا الله والدخول إلى الجنّة، مع ما يُرافقها من خشية الله تعالى، والانصياع لأوامره، والازدياد من عبادته؛ فإنّ الاستكثار من طلب العلم ما لم يُورث صاحبه عناية بتصحيح أوجه التعبُّد لله؛ ذلك فلن يُرزق صاحبه الهداية التامّة.

بقدر ما يرنو الراغب في العلم إلى الاستكثار منه والاهتزاز طرباً لمسائله؛ بعد أن دفعته الدوافع وقُدّرت له الأسباب ليكون من أهله المتحولقين عليه؛ غير أنّه بحاجة ماسّة إلى الصبر عليه، والاصطبار في تحصيله، والهمّة العالية.

كان "وليم جميس" –كبير أساتذة علم النفس الحديث – يقول: "إن الفرق بين العباقرة والناس العاديين ليس موهبة فطرية للعقل، بل الهمة ودرجة التركيز"، وعلى الرُّغم من ملاحظات تظهر بالتأمُّل لا تخلو منها هذه الكلمة، إلاّ أنّ في كتب الأسبقين من علماء المسلمين، ما نراه أعمق منها دلالة وأثراً؛ فلقد قال الإمام أبو حنيفة لتلميذه أبي يوسف القاضي: "كنت بليدا فأخرجتك المواظبة"([١]) لأنّ الصبر على العلم والمواظبة عليه والإصرار ودوام المُذاكرة سبب فعّال لثبات العلوم في صدور المتعلمين بعد توفيق الله تعالى للعبد أولاً وأخيراً.

لقد كان يقول الخضر لموسى – عليه الصلاة والسلام –:{إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} [الكهف: ٧٢] ذلك أنّ المرء تدفعه دوافع العلم لكن ما لم يُعوّد نفسه الصبر؛ فسيقف في وسط الطريق لم يُحصّل غاياته من عوامل التحصيل.

نعم ! قد يطلب العلم بعض الناس من أجل غريزة الاستطلاع غير أنّه لا يُكمله، وقد يطلب العلم هرباً من مسؤوليّة أنيطت به؛ كمن دخل كليّة علميّة وهو لم يُردها فانشغل بطلب علوم الشريعة؛ فمنهم من أفلح ونجح وسار على الدرب، ومنهم من خرج من كليّته بلا تحصيل، ولم يكن في علوم الشرع من أهل التأصيل، وقد يطلبه غيرهم للمنافسة والغيرة بين الأقران؛ فينتقل ذلك حسداً منه وتتبُّعاً لعثرات طلبة العلم، فلا تكون غبطة محمودة بل طريقة للاستعلاء، وقلّ أن يفلح طالب علم امتلأ قلبه حسداً من الآخرين، فإحسان النية مطلب نهائي قبل أيّ دوافع تدعو طالب العلم للسير على منواله.

إنّ الدافع العلمي مُفيد لعدد من أهل العلم ممن حصلّ فنونه، وثابر على مواصلة علومه، وبهذا وجدنا أكابر العلماء قد كانت لكثير منهم أسباب في تحصيل العلم، أذكرها لا على سبيل المتعة فحسب، بل لنستفيد منها العبرة، ونستكمل بها الفكرة، وسأحاول ذكرها في عدّة دوافع:

---

١) [تعليم المُتعلّم، الزرنوجي]

(١) التحفيز العُلمائي الإيجابي

الكلمة الحسنة، والعبارة الجميلة؛ لها وقع عظيم في قلوب الناس، إذا كان فيها تحفيز إيجابي، ودفع للهِمم، وترغيب في صناعة الذات، وتخليد الروحِ العصاميّة الفعّالة في المجتمع.

فكم من شخص تقدّم للعلم وما تلكّأ إذ وجد من مُعلّمه دفقة حنان، مع لين كلام، وحُسن خطاب؛ يدفعه لطلب العلم؛ بأسلوب يجعل الطالب يتحدثّ مع نفسه؛ ولم لا أكون كذلك؟!

إنّ مِمّا يُمكن الاستشهاد له بذلك ما حكاه الإمام الذهبي عن شيخه الحافظ البرزالي في كيفيّة تحبيبه طلب الحديث له فيقول: "فإنه رأى خطي فقال: خطك يشبه خط المحدِّثين. فأثّر قوله فيَّ، وسمعت وتخرّجتُ به في أشياء. قال: فحبب الله إليّ علم الحديث"(٢).

ومن لطيف ما ذكره أهل السّيَرِ أنّ صبيّاً كان يلعب الكُرة؛ فغدا عالماً من علماء الحديث؛ بكلمة طيّبة من أحد العلماء، فقد "قال عبد الصمد بن سعيد القاضي: سمعت محمد بن عوف يقول: كنت ألعب في الكنيسة بالكرة وأنا حدث، فدخلت الكرة، فوقعت قرب المعافى بن عمران الحمصي، فدخلت لأخذها، فقال: ابن من أنت؟ قلت: ابن عوف بن سفيان. قال: أما إن أباك كان من إخواننا، فكان ممن يكتب معنا الحديث والعلم، والذي كان يشبهك أن تتبع ما كان عليه والدك.

فصرت إلى أمي، فأخبرتها، فقالت: صدق، هو صديق لأبيك، فألبستني ثوبا وإزارا، ثم جئت إلى المعافى، ومعي محبرة وورق. فقال لي: اكتب: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد ربه بن سليمان، قال: كتبت لي أم الدرداء في لوحي: اطلبوا العلم صغارا، تعملوا به كبارا، فإن لكل حاصد ما زرع"(٣).

ومنهم من كان مقترح شيخه حاملاً إيّاه على طلب علم مُتخصص يستفيد منه ويُفيد؛ وهو عينُ ما رواه الإمام البخاري أنّه قال: كنا عند إسحاق بن راهويه فقال:" لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله" فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح"(٤).

---

٢) [الدرر الكامنة (٣/ ٣٢٣)]

٣) [سير أعلام النبلاء، للذهبي: ١٢ / ٦٥١ – ٦١٦].

٤) [هدي الساري، ابن حجر، ص٠٧].

وقد يرى الشيخ في تلميذه نباهة وذكاءً مُتوقّداً؛ لكنّه يراه يصرفُ جهوده في علوم لا يُحسنُها؛ يحسن به الخوض في غيرها فيدفعه بكلمة ناصحة ليُغيّر اتجاهه العلمي، وهذا ما فعله القاضي عز الدين ابن جماعة في نصحه للحافظ العراقي بتحويل همّته من علم القراءات إلى علم الحديث، فقد قال ابن فهد الهاشمي المكي في ترجمة العراقي: "وانهمك في علم القراءات، حتى نهاه عن ذلك قاضي القضاة عز الدين ابن جماعة، فقال له: إنه علم كثير التعب قليل الجدوى، وأنت متوقد الذهن، فينبغي صرف الهمّة إلى غيره، وأشار عليه بالاشتغال في علم الحديث، فأقبل حينئذ عليه وطلب بنفسه"([٥]).

والنصيحة نفسها اتّجهت من الشيخ ابن الموحدي المالكي في نصحه للحافظ ابن حجر لأن يصرف شيئاً من همّته إلى الفقه، فقد ذكر البقاعي في ترجمة شيخه ابن حجر: "رآه الإمام محب الدين بن الموحدي المالكي حثيثاً على سماع الحديث وكتبه، قال شيخنا: فقال لي: "اصرف بعض هذه الهمّة إلى الفقه، فإنني أرى بطريق الفراسة أن علماء هذا البلد سينقرضون، وسيُحتاج إليك، فلا تقصر بنفسك" قال ابن حجر: فنفعتني كلمته، ولا أزال أترحَّم عليه لهذا السبب"([٦]).

وقد وقعت كلمات مؤثّرة موقعها في قلب الإمام الشافعي فبعثت طلب الفقه في قلبه، فقد قال مصعب بن عبد الله الزبيري: "كان الشافعي يسمر مع أبي من أول الليل حتى الصباح ولا ينامان وكان الشافعي في ابتداء أمره يطلب الشعر، وأيام الناس، والأدب، ثم أخذ في الفقه بعد، وكان سبب أخذه أنه كان يسير يوماً على دابة له وخلْفه كاتبٌ لأبي، فتمثل الشافعي ببيت شعر فقرعه كاتبُ أبي بسوطه ثم قال له: مثلك يذهب بمروءته في مثل هذا، أين أنت من الفقه؟ فهزه ذلك فقصد مجالسة الزنجي بن خالد مفتي مكة، ثم قدم علينا فلزم مالك بن أنس"([٧]).

وعن الشافعي رحمه الله قال: "كنت أنظر في الشعر فارتقيت عقبة بمنى، فإذا صوت من خلفي: عليك بالفقه، وعن الحميدي قال: قال الشافعي: خرجت أطلب النحو، والأدب فلقيني مسلم بن خالد الزنجي فقال: يا فتى من أين أنت؟ قلت: من أهل مكة قال: أين منزلك؟ قلت: شعب بالخيف قال: من أي قبيلة

---

٥) [لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ " (ص ٢٢١-٢٢٢)]

٦) [عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، إبراهيم البقاعي(١ / ١٢٠ / تحقيق د. حسن حبشي].

٧) [تاريخ دمشق لابن عساكر: ٥٥٠٢١].

أنت؟ قلت: من عبد مناف قال: بخ بخ لقد شرفك الله في الدنيا، والآخرة، ألا جعلت فهمك في هذا الفقه فكان أحسن بك؟"([8]).

وقد يرى العالِمُ في بعض الشباب ذكاء متوقّداً ويتفرّس فيهم النجابة والحصافة إذا أقبل على العلم؛ فيهزُّه لذلك بكلمة تحفيزيّة؛ فيُفلح ذلك الطالب في التقاطها؛ ويعمل بها ويكون فيما بعد أحد أكابر العلماء، ومما يحسن إيراده على ذلك، ما حكاه الإمام أبو حنيفة بقوله: "مررت يومًا على الشعبي وهو جالس فدعاني، وقال: إلى مَن تختلف؟ فقلت: أختلف إلى السوق، وسمَّيت له أستاذي. فقال: لم أعن الاختلاف إلى السوق، عَنَيت الاختلاف إلى العلماء. فقلت له: أنا قليل الاختلاف إليهم، فقال لي: لا تفعل وعليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء، فإني أرى فيك يقظة وحركة، قال: فوقع في قلبي من قوله، فتركت الاختلاف إلى السوق، وأخذت في العلم، فنفعني الله بقوله"([9]).

وقد تلقّف الإمام أبي حنيفة حُبّ العلم وقام به حقّ قيام؛ حتى برز وبزّ أقرانه، وصار أحد الأئمة في العلم حتّى كان يمتلك القدرات التأثيريّة لإقناع الآخرين بطلب العلم، فكان يرى المواهب، ويطلق الطاقات، ويحثُّ الوالدين على تسهيل طلب العلم للولد؛ وله في ذلك عدّة مواقف:

أ. منها: ما ذكره أبو يوسف تلميذ الإمام أبي حنيفة – رحمهما الله – إذ قال: توفِّي أبي إبراهيم بن حبيب، وخلفني صغيرًا في حجر أمي، فأسلمتني إلى قصَّار أخدمه، فكنت أدع القصار، وأمُرُّ إلى حلقة أبي حنيفة، فأجلس أستمع، فكانتْ أُمِّي تجيء خلْفي إلى الحلقة، فتأخذ بيدي، وتذهب بي إلى القصار، وكان أبو حنيفة يُعنَى بي؛ لِمَا يرى مِن حضوري، وحِرْصي على التعلُّم، فلما كثُر ذلك على أمي، وطال عليها هربي قالتْ لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك، هذا صبي يتيم لا شيء له، وإنما أطعمه من مغزلي، وآمل أن يكسبَ دانقًا يعود به على نفسه، فقال لها أبو حنيفة: مُرِّي يا رعناء، هذا هو ذا يتعَلَّم أكل الفالُوذَج بدُهْن الفُسْتق، فانصرفتْ عنه، وقالت له: أنت شيخ قد خرِفتْ، وذهبَ عقلُك.

---

٨) [طبقات الفقهاء لأبي إسحاق للشيرازي (ص٧٢].

٩) [مناقب أبي حنيفة للمكي، ص (٥٤)]

ثم لزمتُه، فنفعني الله بالعلم، ورفعنِي حتى تقلدتُ القضاء وكنتُ أُجالس الرشيد، وآكل معه على مائدته، فلمَّا كانت في بعض الأيام قدَّم إليَّ هارون فالوذَجة، فقال لي هارون: يا يعقوب، كُل منه، فليس كل يوم يُعمل لنا مثلُه، فقلت: وما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه فالوذَجة بدُهن الفُسْتق، فضحِكْت، فقال لي: ممَّ ضحكْت؟ فقلت: خيرًا، أبقى الله أمير المؤمنين.

قال: لتخبرني، وألَحَّ عليَ، فخبَّرتُه بالقصة من أولها إلى آخرها، فعجب من ذلك، وقال: لعمري، إنَّ العلم ليَرْفع، وينفع دينًا ودُنْيا، وترحَّم على أبي حنيفة، وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه"([10]).

ب. ومنها: وهي رواية أخرى في سبب طلب أبي يوسف العلم، فلقد كان لأبي حنيفة دور كبير في حثّه على مواصلة العلم، ويُحدّث به أبو يوسف قائلاً: "كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقلّ، رثّ الحال، فجاء أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة، فانصرفت معه، فقال: يا بني! لا تمدّن رجلك مع أبي حنيفة، فإن أبا حنيفة خبزه مشويّ، وأنت تحتاج إلى المعاش، فقصرت عن كثير من الطلب، وآثرت طاعة أبي، فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني، فجعلت أتعاهد مجلسه، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري، قال لي: ما شغلك عنا؟ قلت: الشغل بالمعاش، وطاعة والدي، فجلست، فلما انصرف الناس دفع إليّ صرّة وقال: استمتع بهذه، فنظرت فإذا فيها مئة درهم، فقال لي: الزم الحلقة وإذا نفدت هذه فأعلمني، فلزمت الحلقة، فلما مضت مدة يسيرة دفع إلي مئة أخرى، ثم كان يتعاهدني، وما أعلمته بخلّة قط، ولا أخبرته بنفاد شيء ما، وكان كأنه يخبر بنفادها حتى استغنيت وتموّلت"([11]).

ت. ومنها: ما ذكر الكردني أن الحسن بن زياد كان فقيرا، وكان يلازم الإمام أبا حنيفة، وكان أبوه يقول له: لنا بنات وليس لنا ابن غيرك فاشتغل بهن، فلما بلغ الخبر الإمام أجرى عليه رزقا، وقال: الزم الفقه، فإني ما رأيت فقيها معسرا قط"([12]).

إنّ الكلمة الإيجابيّة المُحفّزة لطلب العلم حين يقولها العالِمُ لتلميذه بعد شعوره ببعض الأفكار الخاطئة التي بدأت تتسرّب للدواخل النفسيّة في قلوب بعض العُبّاد، لها عمق جوهري في التأثير على الطالب للتعلُّم، وهذا الذي حصل مع الحافظ ابن وهب فقد ذكر ابن عبد البر: "قَالَ ابْن وهب: كَانَ أول أمري فِي العبادة قبل طلب العلم، فولع بي الشيطان فِي ذكر عيسى ابْن مريم عليه السلام، كيف خلقه اللَّه

---

١٠) [تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي:(١٤/٢٥٠)].

١١) [تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١٤ / ٢٤٤].

١٢) [مناقب الكردي: ٢ / ١٢٢].

تعالى؟ ونحو هذا، فشكوت ذلك إِلَى شيخ، فَقَالَ لي: ابْن وهب، قلت: نعم. قَالَ: اطلب العلم؛ فكان سبب طلبي العلم"([١٣]).

وطَوراً يرى العالمُ صبيّاً صغيراً يمتهنه أصحابه أثناء لعبه؛ فيُشفق عليه وينصحه بالتوجه لطلب العلم، فقد:"قال جعفر الخلدي قلت لمُطَيَّنْ: لم لقبت بهذا؟ قال: كنت صبيا ألعب مع الصبيان، وكنت أطولهم، فنسبح ونخوض، فيطينون ظهري، فبصر بي يوما أبو نعيم، فقال لي: يا مطين، لم لا تحضر مجلس العلم؟ فلما طلبت الحديث مات أبو نعيم، وكتبت عن أكثر من خمس مائة شيخ"([١٤]).

ومِمّا حفّز به أحد العلماء آخر على العلم؛ أنّ عابداً استشاره في مسائل عَرَضَتْ له، فنصحه بطلب العلم؛ دفعاً له لعدم العُزلة التي تنشأ عنها الكثير من الأفكار الخاطئة ولو كانت عُزلة عبادة؛ وليكون طالب العلم مقتدراً على مناقشة الشبهات التي تطرأ بذهنه منذ أول وهلة؛ حين يحصّل العلوم، أو قادراً على مراجعة العلوم، وبهذا رأينا الإمام ابن وهب يقول: "كان أوَّل أمري في العبادة قبل طلب العلم، فولع بي الشيطان في ذكر عيسى ابن مريم – عليه السلام – كيف خلَقَه الله – تعالى؟ ونحو هذا، فشكوت ذلك إلى شيخٍ، فقال لي: ابنَ وهب، قلت: نعم، قال: اطلب العلم، فكان سبب طلبي العلم"([١٥]).

ومن المواقف المُفيدة التي يبرز دور العالِم فيها بتحفيزه وتشجيعه طلاّبه على العلم، أنّ المرء يدخل الدرس عامياً ثمّ يخرج منه بعد ذلك عالِماً؛ فالشيخ محمد إسماعيل الحالك كان: "عامياً يشتغل في الخياطة، لكنه كان محباً للعلم والعلماء، فكان يحضر مجالسهم، وكان شيخ الحلقة يعتني به ويسأل عنه إذ غاب، واستمر على أخذ العلم من الشيخ ويستعين على ذلك بالنابهين من الطلبة، حتى أتقن علوم الآلة، وصار واحد زمانه في الفقه والأصول، وهو عاكف على مهنته لم يتركها، وصار الناس يأتونه في محله يسألونه عن مشكلات المسائل وعويصات الوقائع، فيجيبهم، ووصل به الحال إلى أن صار مفتي الشام ومدرس القبة"([١٦]).

---

١٣) [سير أعلام النبلاء للذهبي: ٩ / ٢٢٥].

١٤) [سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤ / ٤٢].

١٥) [سير أعلام النبلاء، الذهبي: (٩ / ٢٢٤)].

١٦) [فكر ومباحث، علي الطنطاوي، ص: ١٣١].

(٢) منافسة المهتمين بالعلم، وحميّة الغيرة من الوصف بالجهل

صحّ عنه – عليه الصلاة والسلام – قوله: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلّمها) رواه البخاري، وله عدة ألفاظ في الصحيحين.

من ألوان الحسد المشروع: الغبطة التي تحثُّ صاحبها على اللحاق بركب الناجحين المُثابرين، فالمؤمن عادة لا يحسدهم بل يغبطهم ويتمنّى أن يكون مثلهم، ويتنافس وإياهم على فعل الخير، كما قال أبو تمّام:

فَلَمْ أَجِدِ الأَخْلاقَ إِلاَّ تَخَلُّقاً *** وَلَمْ أَجِدِ الأَفْضَالَ إِلاَّ تَفَضُّلاَ

وقد طالعتنا الأسفار العلميّة إقبال بعضهم على العلم كان حَمِيَّةً بعد أن وصفه غيره بالجهل وأنّه لا يستحق أن يكون عالماً؛ فقام بطلب العلم ونافس صاحبه حتّى فاقه، ومنهم إبراهيم بن قطن المهري القيرواني، فقد:"قرأ النحو قبل أخيه أبي الوليد، وكان سبب طلب أبي الوليد النحو أن أخاه إبراهيم رآه يوما وقد مدّ يده إلى بعض كتبه يقلبها، فأخذ أبو الوليد كتابا منها ينظر فيه فجذبه من يده وقال له: مالك ولهذا وأسمعه كلاما، فغضب أبو الوليد لما قابله به أخوه، وأخذ في طلب العلم حتى علا عليه وعلى أهل زمانه كلّهم واشتهر ذكره وسما قدره، فليس أحد يجهل أمره، ولا يعرف إبراهيم إلا القليل من الناس. وكان إبراهيم يرى رأي الخوارج الإباضية!"([١٧]).

وكان لإقبال الشيخ خالد زين الدين الأزهري النحوي على علوم اللغة والنحو سبب عجيب؛ أدّاه لأن يُنافس غيره في العلم؛ بسبب من وصمه بالجهل، ذلك أنّه كان خادماً في الأزهر يعمل فيه وقّاداً، فسقطت منه يوماً فتيلة على كراس أحد الطلبة فشتمه وعيَّره بالجهل، فعزَّ عليه شتمه، واشتغل بالعلم بعد أنْ جاوز العقدَ الثالث، وقرأ في العربية، حتّى قام بتأليف عدّة كُتب نافعة مشهورة في النحو، ومنها: "التصريح بمضمون التوضيح، والأزهرية وشرحها، وشرح الأجرومية، وشرح قواعد الإعراب لابن هشام، وإعراب الألفية"([١٨]).

---

١٧) [إنباه الرواة، للقفطي: ١: ١٧٥].

١٨) [شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد: ٨ /٢٦]

ومن عجائب ما تحدّثت عنه الأخبار، أن يندفع أحدهم لطلب العلم بعد نهيه عن لبس زي العلماء حين همّ بذلك؛ فأقبل على طلب العلم وصار أحد علماء المالكية وهو أبو العرب محمد بن أحمد بن تمّام التميمي، وكان جدُّه من أمراء إفريقية، فقد ذكر القاضي عياض أنّ أبا العرب هذا كان:"سبب طلبه للعلم، أنه أتى يوماً الى دار محمد بن يحيى بن سلام، فأعجبه من الطلبة. فاختلف إليه أياماً، وهو من أبناء السلاطين. قال: فقال رجل: لا تتزيا بهذا الزيّ، فليس بزي طلبة العلم. فرجعت فذكرت ذلك لأمي، فأبت علي وقالت إنما تكون مثل آبائك السلاطين. فاشتريت ثياباً ورداء، وجعلتهم عند صباغ. فإذا أتيت لبست تلك الثياب علي، في حانوته. ومضيت الى ابن سلام. فإذا انصرفت من عنده، رجعت الى حانوت الصباغ، وكشفت ما علي، ولبست ثيابي التي جئت بها، ورجعت الى داري. فقال لي رجل: أراك تلازم وتسمع، ولا تكتب. فقلت له: والدي رغَّباني في هذا الأمر، والمعونة عليه، ولم يمكّناني من شيء. فقال: أعطيك جلداً تكتبه لنفسك. وتكتب لي آخر. فرضيت بذلك، وفعلته معه مدة. الى أن يسر الله لي فيما اشتريت به الرق. وقويت به على طلب العلم.([19]).

إنّ في خلق الله لعباده عجائب؛ فهنالك أنفس حسّاسة تمتلك نزعة نفسيّة عجيبة مُقبلة على العلم بعد رميها بالجهل؛ فالنفس الزكيّة تأنف من الجهل، ولا ترتضيه حتّى لو وُصمت بذلك، وهكذا كان علامة شنقيط: المختار بن بون الجكني، فقد:"كان في أول أمره يضرب أقرانه من الصبيان وينزع ما بأيديهم، فاتفق أنه سطا ذات يوم على صبي فضربه، فانتصرت له أمه وسبَّت المختار بن بون سبا قبيحاً وعيرته بالجهل، فأنف لذلك، وسار من غير علم أبويه إلى المختار بن حبيب، فوصل إليه، وشرع في قراءة الأجرومية، فلم يفهمها، ثم فتح الله عليه، وله قصة في ذلك مشهورة وقد استقى عزمه من نملة شاهدها تحاول الصعود ثم تكرر المحاولة مرات حتي استطاعت ذلك فعزم على أن لا يكون أضعف منها همة.

وقد حدّث الأديب محمد أبَات بن عبد الباقي بن المختار أن المختار كان عند شيخه المذكور، وكان لشيخه ختن يغيب عنه ثم يجيء، فيبنى له خباء يقيم فيه مع أهله أياما، ثم ينصرف على عادة أهل تلك البلاد، قبل أن ينقل أهله إلى محله المخصوص، فإذا ذهب، يطوى ذلك الخباء، ويجعل عليه شيء من الشجر يقيه وطأ الدواب، فإذا رجع بنى له الخباء أيضا.

---

١٩) [ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض: (٥ /٣٢٥)].

قال: فاتفق إنه ذهب، فبعد انصرافه وانصراف أهله، جاء المختار فدخل في طنب الخباء ونام، فجاءت الجارية الموكلة بالخباء، فطوته على المختار ولم تنتبه له. قال: فأقام هناك أياما في نومه ذلك. وقد سأل عنه شيخه فلم يعثر له على خبر.

فلما رجع الرجل من سفره، شرعت الجارية في بناء الخباء، فما راعها إلا المختار، فانتبه مذعورا، وخرج في غاية الشحوب، فجاء إلى شيخه، فجعل يسقيه اللبن الممذوق بالماء، حتى قوى قليلا، فسأله عن أمره. فأخبره بما كان، وانتبه من نومه، يحفظ ما كان مكتوبا في ألواح التلاميذ الموجودين هناك، إلا إنه لم يفهم معناه.

فعلم شيخه أن الله تعالى فتح عليه، فبنى له بناء منفردا، ومنعه من لقاء الناس، وجعل يحضر له الكتب ويتركه وإياها، ثم يتعهده ويسأله، فبعد مدة قليلة نبغ، فأبرزه شيخه للناس وقد تمكن، ثم أمره بالمسير إلى شيخ من أبناء ديمان، لم يحضرني الآن اسمه، لينظر في كتبه، فتوجه اليه، فنزل على تلاميذه، فأساءوا عشرته. فقال لهم: أني مقيم عندكم أياما قلائل ومنصرف، فعلام هذا الجفاء؟

ثم إنه اجتمع بذلك الشيخ، وجعل يستعير منه كتابا ثم يذهب إلى محل لا أنيس به، حتى يتم نظره، ثم يرده ويأخذ غيره. فلما انتهى غرضه، دنا من تلاميذ الشيخ، وأصاخ لهم يكررون دروسهم، فجعل يناظرهم ويبين لهم الغامض، فلما كرَّ راجعا، صحبه منهم نحو أربعين، وتركوا شيخهم ولازموه هو!"([٢٠]).

لقد كان سائق العلم لبعض أهل الهمم انزعاجهم من استهانة الناس بهم، ولو أن يبرز الواحد منهم في علم شريف كالطب؛ فقد "سئل أبو بكر الزهري عن سبب تعلمه صناعة الطب فقال: إني كنت كثير اللعب بالشطرنج، ولم يوجد من يلعب مثلي به في إشبيلية إلا القليل، فكانوا يقولون: أبوبكر الزهري الشطرنجي، فكان إذا بلغني ذلك أغتاظ منه، فقلت في نفسي لابد أن أشتغل عن هذا بشيءٍ غيرِه من العلم لأُنْعت به، ويزول عني وصف الشطرنج... فعدلت إلى أبي مروان عبد الملك بن زهر، واشتغلت بصناعة الطب، وكنت أجلس عنده وأكتب لمن جاء مستوصفا من المرض الرقاعَ، واشتهرت بعد ذلك بالطب، وزال عني ما كنت أكره الوصف به"([٢١]).

---

٢٠) [الوسيط في أدباء شنقيط: (١/ ٢٧٨ – ٢٧٩)].

٢١) [عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة: ١/ ٥٣٦]

(٣) الإقبال على العلم بعد العجز عن معرفته جواباً وتعليماً

قد ينتجُ السؤال عن مزيد بحث من السائل في دقائق المسائل، ويتأتّى ذلك حين يثق ببعض أهل العلم فيسألهم، فيُكثروا من البحث وتتنشّط ذاكرتهم، فقد "قيل للأصمعي: بم نلت ما نلت؟ قال: بكثرة سؤالي، وتلقي الحكمة الشرود"([٢٢])، يُقابله الإعراض عن سؤال أهل العلم فهو الذي يُخمل علومهم ومعارفهم حتّى يفقدوها، وفي هذا يقول مكحول: "قدمت دمشق وما أنا بشيء أعلم مني بكذا –باب من أبواب العلم–، قال: فأمسك أهلها عن مسألتي حتى ذهب!"([٢٣]).

ويأتي السؤال على أضرب مختلفة؛ ومنها: إحسان ظن بعض العوام بأناس رأوا فيهم حياء ووقاراً، فيُسأل أحدهم عن مسألة؛ غير أنّهم ليسوا من أهل العلم، فيدفعهم ذلك على استكشاف الحقيقة وطلب العلوم بعد سؤال عن شيء مجهول لهم.

ذكر ياقوت أنّ الطبري قال: "لما دخلت مصر لم يبق أحد من أهل العلم إلا لقيني وامتحنني في العلم الذي يتحقق به، فجاءني يوماً رجل فسألني عن شيء من العروض، ولم أكن نشطت له قبل ذلك، فقلت له: على قول ألا أتكلم اليوم في شيء من العروض فإذا كان في غد فصر إلي، وطلبت من صديق لي العروض للخليل بن أحمد فجاء به، فنظرت فيه ليلتي فأمسيت غير عروضي وأصبحت عروضياً" ([٢٤]).

وقد حصل شبيه ذلك مع ابن الأنباري الذي كان يتردد إلى أولاد الراضي، فسألته جارية عن شيء من تفسير الرؤيا فقال: أنا حاقن ثم مضى فلما كان من غد عاد وقد صار معبراً للرؤيا وذاك أنه مضى من يومه وقد درس كتاب الكرماني وجاء"([٢٥]).

وهاكَ غريبة ذكرها الشيخُ الكوثري في ترجمة شيخه "محمد غالب الاصطنبولي" أنّه "قصد في مبدأ أمره أحد البلاد ليعظ هناك في شهر الصيام على عادة الطلبة، فوعظ وذكّر فأُعجب أهل بلده بإلقائه إلا أنهم سألوه عما إذا كان حافظا للقرآن حفظا جيدا؟ فقال لهم:لا، فجاوبوه قائلين: إذن أنت لا تصلح لنا مع

---

٢٢) [جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر:١/١٠٨]

٢٣) [جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر:١/١٠٧].

٢٤) [مُعجم الأدباء لياقوت الحموي: ٦ / ٤٢٤ – ٤٢٦]

٢٥) [تاريخ بغداد: ٣ /١٨٤].

جودة إلقائك لأن عادتنا في شهر الصيام أن نصلي التراويح بختم القرآن فيها فسكت هنيهة ثم قال: هذا أمر ميسور، فاستبقوه ظنا منهم أنه يحفظ القرآن فصلى التراويح بالختم بدون تلعثم وهو يحفظ كل يوم جزءً من القرآن وبعد العيد قال لأعيان البلدة: لا يكفي أن تحتفوا بي، وعليكم واجب آخر وهو أن تعملوا حفلة حفظ القرآن لأني حفظت القرآن عندكم فأريد أن يسمعه مني أحد حفاظ المشاهير فعملوا في ذلك حفلة كبرى ومن ذلك العهد بدأت شمس فضله تبزغ"([٢٦]).

(٤) الخطأ سائق للتعلُّم

من النظريات الحديثة في مجال التعلُّم " نظريّة ثرونديك " التي تُعنى بالتعلُّم من خلال المحاولة والخطأ؛ فيبدأ المرء بمعاناة أثناء التعلّم ثمّ يكون من أهل المعاني الدقيقة، والدقائق لا تتأتّى إلاّ بالانهماك المعرفي في دواخل العلوم والمعارف حتّى يتحصّل على ما يُريد، وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن أبي مليكة أنه قال: (كانت عائشة رضي الله عنها لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه).

مِمّا يذكر في هذا الصدد أنّ اللُّغوي الكبير ابن جنّي كان يقرأ النحو بجامع الموصل فمر به أبو علي الفارسي فسأله عن مسألة في التصريف فقصَّر فيها، فقال له أبو علي: (تزببتَ قبل أن تتحصرمَ) فلزمه من يومئذ مدة أربعين سنة، حتّى اعتنى بالتصريف ولما مات أبو علي تصدر ابن جني مكانه"([٢٧]).

والمُلاحظ كذلك أنّ ابن جنّي ما أَنِفَ من أخذ العلم عمّن قدحَ به؛ أو تحسّس من الموقف، بل طلب العلم على يده، وتحمّل ذلّ العلم مُدّة؛ حتّى قعد مكان شيخه بعد وفاته.

وبالنظر إلى سيرة الإمام مالك فلقد ذكر أنّ من الدواعي لطلبه العلم؛ وقوعه في الخطأ، حيث سمع كلمة من والده؛ حرّكت ما بداخله لأن ينقطع للعلم؛ فقد قال: "كان لي أخ في سن ابن شهاب فألقى أبي يوماً علينا مسألة فأصاب أخي وأخطأت فقال لي أبي ألهتك الحمام عن طلب العلم فغضبت وانقطعت إلى ابن هرمز سبع سنين. قال مالك كان لي أخ في سن ابن شهاب فألقى أبي يوماً علينا مسألة فأصاب أخي وأخطأت فقال لي أبي ألهتك الحمام عن طلب العلم فغضبت وانقطعت إلى ابن هرمز سبع سنين"([٢٨]).

---

٢٦) [التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز، الكوثري، ص٤٢].

٢٧) [معجم الأدباء (١٢ / ٨١ – ١١٥)].

٢٨) [ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ١/٣١]

وكان سيبويه جالساً أمام حماد بن سلمة يستملي عليه، فقال: "ليس أحد من أصحابي إلا وقد أخذت عنه ليس أبا الدرداء" فقال سيبويه: "ليس أبو الدرداء" فظن ليس اسم؛ فقال لحنت يا سيبويه: فإنها استثناء؛ فقال سيبويه سأطلب علماً لا تلحنني فيه فطلب النحو ولزم الخليل"([29]).

ويحكى ابن السبكي – رحمه الله – عن العز بن عبد السلام: "أن الشيخ كان أول أمره فقيرا جدا ولم يشتغل بالعلم إلا على كبر، و سبب ذلك أنه كان يبيت في الكلاسة – زاوية في الجانب الشمالي من جامع دمشق – في جامع دمشق. فبات بها ليلة ذات برد شديد فاحتلم فقام مسرعا و نزل في بركة الكلاسة، فحصل له ألم شديد من البرد وعاد فنام فاحتلم ثانية، فعاد إلى البركة؛ لأن أبواب الجامع مغلقة وهو لا يمكنه الخروج، فطلع فأغمي عليه من شدة البرد.... ثم سمع النداء في المرة الأخيرة: "ابن عبد السلام، أتريد العلم أم العمل؟ " فقال العز: "العلم؛ لأنه يهدي إلى العمل فأصبح فأخذ "التنبيه" فحفظه في مدة يسيرة وأقبل على العلم.([30]).

والحال نفسه مع العلاّمة ابن حزم الأندلسي الظاهري فلقد كان سبب تعلمه الفقه أنه شهد جنازة، فدخل المسجد، فجلس ولم يركع فقال له رجل: قم فصلّ تحية المسجد، وكان قد بلغ ستا وعشرين سنة، قال: فقمت وركعت، فلما رجعنا من الصلاة على الجنازة دخلت المسجد، فبادرت بالركوع، فقيل لي: اجلس ليس ذا وقت صلاة، وكان بعد العصر، قال: فانصرفت وقد حزنت، وقلت للأستاذ الذي رباني: دلّني على دار الفقيه أبي عبد الله بن دحُّون، قال: فقصدته وأعلمته بما جرى، فدلني على موطأ مالك فبدأت به عليه، وتتابعت قراءتي عليه، وعلى غيره نحواً من ثلاثة أعوام، وبدأت بالمناظرة"([31]).

وقد ذكر الفرّاء أنّ الكسائي تعلّم النحو على كِبَر سنّه؛ لأنه "جاء إلى قوم وقد أعيا فقال: قد عييت، فقالوا له: تجالسنا وأنت تلحن، قال: كيف لحنت؟ قالوا له: إن كنت أردت من التعب فقل أعييت، وإن كنت أردت انقطاع الحيلة والتحير في الأمر، فقل عييت، فأنف من ذلك، وقام من فوره، فسأل عمن يعلم النحو، فدل على معاذ الفراء فلزمه ثم خرج إلى البصرة فلقي الخليل، ثم خرج إلى بادية الحجاز"([32]).

---

٢٩) [الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي ٢\٦٧]

٣٠) [طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي].

٣١) [سير أعلام النبلاء، الذهبي:١٩٩/١٨].

٣٢) [معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الذهبي: ١٢٥/١].

ولا تخلو كتب التراجم من إفادات كثيرة كهذه ومنها ما ذكروه عن سبب تعلّم ابن سينا اللغة، ومهارته فيها حتّى كاد يفوق شيخه، مع أنّ شيخه قد خطّأه فلزم بيته بضع سنوات حتّى خرج ماهراً فيها، والموقف الذي حصل معه أنّه:" كان جالساً يوما من الأيام بين يدي الأمير، وأبو منصور الجبائي حاضر، فجرى في اللغة مسألة تكلم الشيخ – ابن سينا – فيها بما حضره، فالتفت أبو منصور إلى الشيخ وقال له: أنت تقول أنك فيلسوف وحكيم، ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها!.

فاستنكف الشيخ من هذا الكلام، وتوفّر على درس كتب اللغة ثلاث سنين، واستهدى كتاب" تهذيب اللغة" من خراسان، تصنيف أبي منصور الأزهري، فبلغ الشيخ في اللغة طبقة قلّ ما يتفق مثلها.

فقال الشيخ: إن ما تجهله من هذا الكتاب فهو مذكور في الموضع الفلاني من كتب اللغة، وذكر له كثيرا من الكتب المعروفة في اللغة.

ففطن أبو منصور أن تلك الرسائل من تصنيف الشيخ، وأن الذي حمله عليه ما جبهه به ذلك اليوم، فتنصّل واعتذر إليه.

ثم صنف الشيخ كتابا في اللغة سماه:" لسان العرب"، لم يصنف في اللغة مثله، ولم ينقله إلى البياض حتى توفي، فبقي على مسوّدته، لا يهتدي أحد إلى ترتيبه"(٣٣).

(٥) شعوره بذكاء فائق من نفسه

لقد ذكر المؤرّخون أنّ القفّال طلب العلم على كِبَرٍ، فلم يطلبه من الصّغر، حين آنس من نفسه قُدرة على الفهم والعلم، كما قال الذهبي: "حَذق في صنعة الأقفال حتى عمل قفلاً بآلاته ومفتاحه، زنة أربع حبات، فلما صار ابن ثلاثين سنة آنس من نفسه ذكاء مفرطا، وأحبّ الفقه، فأقبل على قراءته حتى برع فيه، وصار يضرب به المثل، وهو صاحب طريقة الخرسانيين في الفقه"(٣٤).

---

٣٣) [مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: لابن فضل الله شهاب الدين العمري (٩/ ٨٧ – ٩٠)]

٣٤) [سير أعلام النبلاء، الذهبي (٤٠٦/١٧)].

وأمتع من ذلك ما ذكره ياقوت الحموي عن القفّال حيث قال: حدثني بعض فقهاء مرو بـ (فنين) من قراها.. أن القفال الشاشي صنع قفلاً ومفتاحاً وزنه دانق واحدٌ، فأعجب الناس به جداً، وسار ذكره، وبلغ خبره إلى هذا القفال، فصنع قفلاً مع مفتاحه وزنه طسوج [= ربع دانق]، وأراه الناس فاستحسنوه، ولم يشع له ذكر !!

فقال يوماً لبعض من يأنس إليه: ألا ترى كل شيء يفتقر إلى الحظ ؟! عمل الشاشي قفلاً وزنه دانق وطنت به البلاد، وعملت أنا قفلا بمقدار ربعه ما ذكرني أحدٌ !!

فقال له: إنما الذكر بالعلم لا بالأقفال، فرغب في العلم، واشتغل به، وقد بلغ من عمره أربعين سنة.

وجاء إلى شيخ من أهلٍ مرو، وعرّفه رغبته فيما رغب فيه، فلقنه أول كتاب المزني، وهو: "هذا كتاب اختصرته"، فرقي إلى سطحه، وكرر عليه هذه الألفاظ الثلاثة، من العشاء إلى أن طلع الفجر، فحملته عينه، فنام، ثم انتبه وقد نسيها، فضاق صدره، وقال: إيش أقول للشيخ ؟!.وخرج من بيته، فقالت له امرأة من جيرانه: يا أبا بكر لقد أسهرتنا البارحة في قولك: "هذا كتاب اختصرته"! فتلقنها منها، وعاد إلى شيخه، وأخبره بما كان منه، فقال له: لا يصدنك هذا عن الاشتغال، فإنك إذا لازمت الحفظ والاشتغال صار لك عادة، فجدَ ولازمَ الاشتغال، حتى كان منه ما كان! فعاش ثمانين سنة: أربعين جاهلاً، وأربعين عالماً!)([٣٥]).

(٦) خطأ شيخٍ يُعلّمُ الناس

نقل أحدُّ طُلاّب الشيخ المُحدّث الألباني أنّ شيخه الألباني كان يسمع شيخاً ينهى عن منكرٍ من المنكرات، فقال ذلك الشيخ أثناء إنكاره: ألم تسمع بحديث النبي صلى الله عليه وسلّم: " دعوا الناس في غَفَلاتهم"؟! فقال الألباني – وكان شاباً –: من روى هذا الحديث؟ وما هي درجته؟ ففُوجِئ الشيخ بهذا الشاب، وعجز عن إجابته؛ فراح الألباني يبحث في بطون الكتب، فيفتش ويبحث ويدقق النظر، حتى هداه الله عز وجل إلى الحديث بتمامه: "دعوا الناس في غَفَلاتهم، يُرزَق بعضهم من بعض"، فخرّجه، وبيَّن حال رواته، وعرف درجته، فحدّثني الشيخ الألباني مرّة أن ذلك كان فاتحةَ عمله بهذا العلم الشريف ([٣٦]).

٣٥) [معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٥/١١٦].

٣٦) [مقال كتبه محمد بن بديع موسى في مجلة الأصالة (٢٣ / ٥٩)].

وفي شريط للشيخ أبي إسحاق الحُويني ذكر أنّه حينما دخل الجامعة، بدأ يبحث عن كتب في علم الحديث، فكان أول كتاب وقع عليه كتاب "الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة" للإمام الشوكانيّ، فهال أبا إسحاق ما رأى من الأحاديث التي يتناولها الناس في حياتهم لا تثبت عن النبيّ، وعكّر ذلك... عليه استمتاعه بخطب الشيخ عبد الحميد كشك، فأصبح لا يمرّ به حديث إلا ويتشكّك في ثبوته!

حتى كانت جمعة عند الشيخ كشك فذكر حديثا تشكّك الشيخ فيه، فبحثه فوجد أنّ ابن القيم ضعّفه، فأخبر الشيخ كشكا بذلك، فردّ الشيخ كشك وقال بأنّ ابن القيم أخطأ، ثمّ قال كلمة كانت من المحفزات الكبار له لتعلم الحديث والعلم الشرعيّ، قال: يا بنيّ! تعلم قبل أن تُعلِّم.

يقول أبو إسحاق: فمشيت من أمامه مستخزيًا، كأنما ديك نقرني! وخرجت من عنده ولديّ من الرغبة في دراسة علم الحديث ما يجلّ عن تسطير وصفه بناني!!([٣٧]).

(٧) تشجيع الوالدين على طلب العلم والأدب

لكثيرٍ من آباء العلماء دور عظيم في تحبيب العلم لأولادهم، حتّى بزُّوا أقرانهم ولِدَاتهم ممن عاشوا في زمنهم، وكانوا يحثونهم على الازدياد الأدبي مع التحصيل العلمي؛ فقد روى إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن والده أنّه كان يقول له: "يا بني إيتِ الفقهاء والعلماء، وتعلم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهديهم، فإن ذاك أحب إلي من كثير من الحديث"([٣٨]).

وقال الإمام سفيان بن عيينة – رحمه الله – لما بلغت خمس عشرة سنة، قال لي أبي:" يا بني، قد انقطعت عنك شرائع الصبا، فاختلط بالخير تكن من أهله، ولا تزايله فتبين منه، ولا يغرنك مَن مدحك بما تعلم أنت خلافه من نفسك؛ فإنه ما مِن أحد يقول في أحد من الخير ما لم يعلم منه إذا رضي، إلا قال فيه مِن الشر على قدر ما مدحه إذا سخط، واستأنس بالوحدة مِن جلساء السوء، تسلم من غِبِّ عواقبهم، ولا تنقل أحسن ظني بك إلى أسوإِ ظني بمن هو دونك، واعلم أنه لن يسعد بالعلماء إلا مَن أطاعهم، فأطعهم

---

٣٧) موقع قناة الندى، ترجمة الشيخ الحويني:
http://www.alnada.tv/cms/moqdm_v.php?id=4&kind=shekh

٣٨) [الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي: ١/ ٨٠].

تسعد، واخدمهم تقتبس من علمهم" قال الإمام سفيان بن عيينة: "فجعلتُ وصية أبي هذه قِبلةً أميل إليها، ولا أميل عنها، ولا أعدل عنها"([٣٩]).

وقد تتلاقى الهمّة الأبويّة في إرسال الابن للشيوخ كي يتلقّى منهم العلم، مع همّة الابن وفصاحته ونباهته؛ فيتحصّل على العلم المُراد، وفي هذا قصّة طريفة حكاها المُحدّث هشام بن عمار، إذ يقول: "دخلت على مالك بن أنس، فقلت له: حدثني، فقال: اقرأ، فقلت: لا. بل حدثني، فقال: اقرأ، فلما أكثرت عليه، قال: يا غلام، تعال اذهب بهذا، فاضربه خمسة عشر، فذهب بي فضربني خمس عشرة درة، ثم جاء بي إليه، فقال: قد ضربته، فقلت له: لم ظلمتني؟ ضربتني خمس عشرة درة بغير جرم، لا أجعلك في حل، فقال مالك: فما كفارته؟ قلت: كفارته أن تحدثني بخمسة عشر حديثا، قال: فحدثني بخمسة عشر حديثا. فقلت له: زد من الضرب، وزد في الحديث، فضحك مالك، وقال: اذهب([٤٠]).

إنّ مِمّا يُثير انتباه الناظر لسير الأئمة الأربعة، أنّ للوالدة أو الأبوين دوراً عظيماً في تكوين أولادهم والعناية بهم منذ الصِغَر، فكانوا صنائع التربية العظيمة.

حسبك بهذا الموقف العجيب الذي يرويه حسن بن النعمان، إذ يقول: "كنت بالمدينة، فخلا بي الطريق نصف النهار، فجعلت أتغنى بشعر ذي يزن، وأقول:

ما بال قومك يا رباب * خزرا كأنهم غضاب!

فإذا كُوَّة قد فتحت، ووجه قد بدا منها تتبعه لحية حمراء، وإذا به الإمام مالك، فقال: يا فاسق قد أسأت التأدية ومنعت القائلة!

ثم اندفع فغنَّى الصوت غناء لم أسمع بمثله، فقلت: أصلحك الله! من أين لك هذا الغناء؟

فقال الإمام مالك: نشأت وأنا غلام، فأعجبني الأخذ عن المغنين، فقالت أمي: يا بُني، إن المغنى إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إلى غنائه، فدع الغناء واطلب الفقه!

---

٣٩) [العيال لابن أبي الدنيا، (٣٥٧)].

٤٠) [سير أعلام النبلاء: للذهبي: ١١ / ٤٢٩]

فتركت المغنين وتبعت الفقهاء، فبلغ الله بي إلى ما ترى!

فقلت: أعد الصوت، جُعلت فداك !

فقال الإمام مالك: لا ولا كرامة! تريد أن تقول: أخذته عن مالك بن أنس!"([٤١]).

كما يتحدث الإمام مالك أنّه كان مَنذُ صِغَرِه تهيئه والدته للتأدُّب والتعلّم، فيقول: "قلت لأمي أذهب فأكتب العلم؟ فقالت:" تعال فالبس ثياب العلم، فألبستني ثياباً مشمرة ووضعت الطويلة على رأسي وعممتني فوقها، ثم قالت: "اذهب فاكتب الآن". فكانت أمي تعمِّمَني وتقول لي: "اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه" ([٤٢]).

لاها الله! لا يُمكننا حين نقرأ هذا الموقف التربوي إلاّ أن نُكبر هذه الأمّ العظيمة التي أخرجت إماماً قاد أمّة بل أُمَمَاً يغذُّون السّير لقراءة كُتبه والتعلُّم من فقهه؛ وكان لحسن نيّة الأم والابن أثر كبير، فقد عرفت تلك الأم الرؤوم مبدأ طلب العلوم، إذ أنّه إذا لم يرتكز على أسس الأدب؛ فلا علم سيؤخذ، ولا خشية ستطلب، فكان لهذه الأم دور كبير في صقل شخصيّة ابنها، وليس الأمر بعيداً عنها فقد كانت أم الإمام سفيان الثوري كذلك، فكانت تقول له: "يا بني: اطلب العلم، وأنا أكفيك بمغزلي"([٤٣]).

بَيْدَ أنّها لا تنسى تُذكّره ضرورة أن يُتبع علمه عمله وخشيته، فتقول له:" يا بني: إذا كتبت عشرة أحرف، فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك، وحلمك، ووقارك؟ فإن لم تر ذلك، فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك"([٤٤]).

ويتحدث الشافعي رحمه الله عن دور والدته في تحبيب العلم له مُذ صِغَرِه، فيقول: "كنت يتيماً في حِجْر أمي، فدفعتني في الكتاب، ولم يكن عندها ما تعطي المعلم، فكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد، فكنت أجالس العلماء، وكنت أسمع الحديث أو المسألة فأحفظها"([٤٥]).

---

٤١) [سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون، لابن نُباتة المصري، ص ١٨١].

٤٢) [ترتيب المدارك: (١/١١٩)].

٤٣) [الورع لأحمد:١١٣].

٤٤) [صفة الصفوة، ابن الجوزي: ٣ / ١٨٩]

٤٥) [تاريخ دمشق؛ لابن عساكر: (٢٨٢/٥١)].

لقد كانت كثير من أمّهاتهم ترعاهم وتُشرف على عمليّة ذهابهم لدروس العلم، من شيء من الصيانة والوقاية؛ فالإمام أحمد يقول: "ربما أردت البكور في الحديث، فتأخذ أمي بثوبي، وتقول: حتى يؤذن المؤذن، وكنت ربما بكرت إلى مجلس أبي بكر بن عياش"(٤٦)، وليس غريباً أن نجد الإمام أحمد يُورّثُ حُبّ العلم لأولاده فكان منهم عبد الله وصالح من أكثرهما علماً وحفظاً ورواية عن أبيهما ونقلة لعلم والدهما؛ وليس من عجب أن يتحدّث أبو بكر المطوعي بقوله: "اختلفت إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل ثنتي عشرة سنة، وهو يقرأ المسند على أولاده، فما كتبت منه حديثاً واحداً، إنما كنت أنظر إلى هديه وأخلاقه وآدابه"(٤٧).

وتارة نقرأ عن تهيئة الأب لابنه ودفعه نحو طلب العلم؛ ولو بذل الغالي والنفيس؛ حتّى وإن فقدوا فلذة أكبادهم عدَّة سنين في سبيل طلب العلم، فقد قال علي بن عاصم الواسطي: "دفع إليّ أبي مائة ألف درهم، وقال لي: اذهب وسافر لطلب العلم، ولا أرى وجهك إلا ومعك مائة ألف حديث، فسافر وارتحل وطلب العلم، ثم رجع لنشره حتى كان يحضر مجلسه أكثر من ثلاثين ألفاً"(٤٨).

ونقرأ عن سيرة أب كريم، وقاضٍ حكيم يطمح أن يكون ابنه من عِداد المُتعلّمين، إذ يُحدّث القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي الفلسطيني، وكان كاتب الدولة الصلاحية فقال: كان فن الكتابة بمصر في زمن الدولة العلوية غضاً طرياً، وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من رأس يرأس مكاناً وبياناً، ويقيم لسلطانه بقلمه سلطاناً، وكان من العادة أن كلا من أرباب الدواوين إذا نشأ له ولد وشدا شيئاً من علم الأدب أحضره إلى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع قال: فأرسلني والدي، وكان إذ ذاك قاضياً بثغر عسقلان، إلى الديار المصرية في أيام الحافظ، وهو أحد خلفائها، وأمرني بالمصير إلى ديوان المكاتبات، وكان الذي يرأس به في تلك الأيام رجلاً يقال له "ابن الخلال"؛ فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته من أنا وما طلبتي، رحب بي وسهل، ثم قال لي: ما الذي أعددت لفن الكتابة من الآلات فقلت: ليس عندي شيء سوى أني أحفظ القرآن الكريم، وكتاب "الحماسة" فقال: في هذا بلاغ، ثم أمرني بملازمته، فلما ترددت إليه وتدربت بين يديه، أمرني بعد ذلك أن أحل شعر الحماسة، فحللته من أوله إلى آخره، ثم أمرني أن أحله مرة ثانية فحللته(٤٩).

---

٤٦) [سير أعلام النبلاء: ١١ / ٣٠٧]

٤٧) [مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي، ص٢١٠].

٤٨) [تذكرة الحفاظ، الذهبي: ١ / ٣١٧]

٤٩) [وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان: ٧ / ٢١٩ – ٢٢٠].

وأعجبُ من ذلك أن يشترك الأب مع ابنه في الخروج لطلب العلم، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه أنّ عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصّامت قال: "خرجت أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحيّ من الأنصار، قبل أن يهلكوا، فكان أوَّل من لقينا أبو اليسر صاحب النبي ومعه غلام له. فذكر الحديث...".

(٨) همٌّ داخلي لطلب العلم بعد انصراف الناس عنه وانشغالهم بالدنيا

من جميل دَقَقِ تأمّلات الإمام ابنُ تيميَّة قوله: "الحاجةُ التي يقترن مع العلم بها ذَوقُ الحاجة هي أعظمُ وقعًا في النفس من العلم الذي لا يقترن به ذوقٌ"([٥٠]).

فحين يشعر المرء حاجة العالَم إلى العالِم؛ ويخشى من ذهاب العلم؛ تنتهض كثير من الأنفس للبحث عن المعارف والعلوم، كي لا تضيع هباءً بعد أن بلغت ذُرى القِمَمِ السامقة، ويستشعر المرء مع معاناة العلم لذّته، ومع مراراته؛ حلاوته، ومع صعوبته؛ بركته؛ وقد كان ابن عبّاس كذلك حتّى برّ أقرانه، وفاق خلّانه، عَقِبَ استشعاره أنّ كثيراً من الناس ألهاهم الصفق بالأسواق، فكان من توفيق الله تعالى له أن يسّر له سبيل العلم، وحفظ أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: لما فُتِحَت المدائن أقْبل الناس على الدنيا، وأقبلْتُ على عمر رضي الله عنه([٥١]).

ولم يكن الإمام سفيان الثوري في موقفه لطلب العلم إلاّ شبيهاً بموقف ابن عبّاس؛ فقد قال:" لما أردت أن أطلب العلم؛ قُلتُ: يا ربِّ، لابد لي من معيشة. ورأيت العلم يَدْرُس(أي: يذهب ويندثر)؛ فقلت: أُفرِّغ نفسي في طلبه، قال: وسألتُ الله الكفاية"([٥٢]).

ويبدو الأمر طريفاً وغريباً في الوقت نفسه؛ عن أحد أكابر العلماء حيث كان له مُراد جديد في طلب علم من العلوم، لانصراف الناس في بلده عنه، وهو العلاّمة اللغوي المشهور أحمد بن فارس بن زكريا، فقد "كان شافعيا، فتحول مالكيا، وقال: أخذتني الحمية لهذا الإمام أن يخلو مثل هذا البلد عن مذهبه، وكان

---

٥٠) [درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية: (٣: ١٣٤)].

٥١) [مسند البزار: ٣١١/١]

٥٢) [حلية الأولياء، أبو نعيم: ٣٧٠/٦].

فقيها شافعيا حاذقا، فانتقل إلى مذهب مالك في آخر عمره، وسئل من ذلك فقال: دخلتني الحمية، لهذا الإمام المقبول على جميع الألسنة أن يخلو مثل هذا البلد عن مذهبه؛ فعمَّرتُ مشهد الانتساب إليه، حتى يكمل لهذا البلد فخره فإن الري أجمع البلاد للمقالات والاختلاف على تضادها وكثرتها"([٥٣]).

(٩) رؤى ناميّة لم تكن أحلاماً بل طريق لطلب العلم بجديّة!

من عجائب دوافع الطلب، حديث بعض العلماء أنّ الرؤى المناميّة كانت سبباً لطلبهم العلم، و حثّهم من يعرفون على طلب العلم، فالإمام الطبري رأى والده رؤيا في منامه أن ابنه واقف بين يدي الرسول صلّى الله عليه وسلّم ومعه مخلاة مملوءة بالأحجار، وهو يرمي بين يدي رسول الله، وقصَّ الأب على مُعَبِّرٍ رؤياه فقال له: "إن ابنك إن كبر نصح في دينه، وذبَّ عن شريعة ربه"([٥٤])، فكانت هذه الرؤياً حافزاً للطبري على طلب العلم.

وفي سِيَرِ علماء المالكيّة نرى أنّ أحمد بن أبي سليمان بن أبي الصوارف:"كان سبب طلبه العلم، فيما حكاه، أنه قال: كنت أولاً أطلب الشعر، فرأيت في المنام، كأني على حائط يرجف ونار عظيمة، وأنا أخاف أن أقع فيها، وإذا حلقة رجال، فيهم أبي. فكنت آنس إليه. فيقول لي: لا تخف. ارم بنفسك في حلقة سحنون، تنج!"([٥٥]).

وقد كانت الرؤيا المناميّة سبباً ليقوم عالمان جليلان بتأليف كتابين عظيمين، أولهما في التفسير وهو العلاّمة الآلوسي لكتابة تفسيره مواصلةً منه لطريق العلم والتحصيل، إذ يذكر الألوسي في مقدمة تفسيره سبب تسمية "روح المعاني": "رأيت في بعض ليالي الجمعة من رجب الأصم سنة الألف والمائتين والاثنتين والخمسين بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم رؤية لا أعدها أضغاث أحلام، ولا أحسبها خيالات أوهام، أن الله جل شأنه وعظم سلطانه أمرني بطي السماوات والأرض، ورتق فتقهما على الطول والعرض، فرفعت يدا إلى السماء، وخفضت الأخرى إلى مستقر الماء، ثم انتبهت من نومتي وأنا مستعظم رؤيتي، فجعلت أفتش لها عن تعبير، فرأيت في بعض الكتب أنها إشارة إلى تأليف تفسير، فرددت حينئذ على

---

٥٣) [الوافي بالوفيات، الصفدي: ١٨٢/٧، بغية الوعاة، السيوطي: (٣٥٢/١)].

٥٤) [ياقوت الحموي: معجم الأدباء ١٨/ ٤٩]

٥٥) [ترتيب المدارك، للقاضي عياض (٤ / ٣٦٧)].

النفس تعللها القديم، وشرعت مستعينا بالله تعالى العظيم، وكأني إن شاء الله تعالى عن قريب عند إتمامه بعون عالم سري، ونجواي أنادي وأقول غير مبال بتشنيع جهول: هذا تأويل رؤياي، وكان الشروع في الليلة السادسة عشرة من شعبان المبارك، من السنة المذكورة"([٥٦]).

وكانت الرؤية المنامية سبباً من أسباب تأليف البخاري لصحيحه فقد قال البخاري رحمه الله: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكأني واقف بين يديه، وبيدي مروحة أذبُّ بها عنه، فسألت بعض المعبرين فقال لي: أنت تذُبُّ عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح"([٥٧]).

---

٥٦) [روح المعاني للآلوسي: ١ / ٥].

٥٧) "[هدي الساري، ابن حجر، ص٠٧]

المحطّة الأخيرة

ملءُ ما أتمنّاه أن يكون قراءة هذا المبحث باعثاً حقيقياً يدعو كلّ جاد هميم، للمُضي قُدُمَاً في استكمال المشوار العلمي الممتع الذي لن تكون له نهاية؛ ومتعته بذلك؛ ليبقى مكتشفاً لعلوم وراء علوم، فالعلوم والمعارف لا تنقضي ولا تنتهي، ودوائر المجهولات تتوسع بقدر اكتشاف الباحث عن دوائر المعلومات؛ وإنّ خير ما يدّخره المرء لنفسه علم يتعلّمه وينتفع منه الناس؛ ولن يتحصّل له ذلك إلاّ بالباعث الحقيقي، والدافع الجاد.

لقد كان "نيتشه" يعتبر دافع الوصول إلى المعلومة: الخوف، فهو باعث المعرفة الأكبر عنده، وكانت الدهشة هي التي دفعت الناس للتفلسف كما يقول أرسطو؛ لكن عند علماء الإسلام ما هو أعمق من ذلك وأجدر تنبيهاً وأكمل شموليّة؛ وفي هذا يقول الماوردي: " واعلم أن لكل مطلوب باعثاً، والباعث على المطلوب شيئان: رغبة أو رهبة، فليكن طالب العلم راغبا راهبا، أما الرغبة ففي ثواب الله تعالى لطالبي مرضاته، وحافظي مفترضاته، وأما الرهبة فمن عقاب الله تعالى لتاركي أوامره، ومهملي زواجره. فإذا اجتمعت الرغبة والرهبة أديا إلى كنه العلم وحقيقة الزهد؛ لأن الرغبة أقوى الباعثين على العلم، والرهبة أقوى السببين في الزهد"(٥٨).

ويقول المُفسّر السعدي – يرحمه الله – "أعظم باعث على الرغبة و الرهبة و العمل، واليقين هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك الموجب للعمل"(٥٩).

ولا غرو إن كان باعث العلم الرغبة والرهبة؛ أن يكون مؤدّاه ونتيجته العمل السليم، كما يقول الإمام الشاطبي:"العلم الذي هو العلم المعتبَر شرعاً –أعني الذي مدح الله ورسوله أهله على الإطلاق– هو العلم الباعث على العمل، الذي لا يخلي صاحبه جارياً مع هواه كيفما كان، بل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه الحامل له على قوانينه طوعاً أو كرها"(٦٠).

---

٥٨) [أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص٥٢].

٥٩) [تفسير السعدي، ص٤٠].

٦٠) [الموافقات، الشاطبي: (٦٩/١)].

وإذا عمل المرء بعلمه فسيكون باعثاً له على الرحمة بالخلق، والحرص على الرفق بهم: "فإن من عرف حقائق أقوال الناس وطرقهم التي دعتهم إلى تلك الأقوال حصل له العلم والرحمة، فعلم الحق ورحم الخلق"([٦١]) كما يقول الإمام ابن تيمية

ولو لم يكن من فوائد العلم وبواعثه للمرء في هذا العصر الذي امتلأت أركانه بالشبهات والانحرافات؛ فيجد المؤمن ملاذه بالعلم الشرعي الشريف؛ لكفى به من دافع ليُزيل عن نفسه أدران الحيرة والشكوك؛ فيتخبّط وتزلّ به الأقدام،، وقد صدق أبو العباس ابن تيميّة حينما قال: "إذا ضَعفَ العلمُ حارَ السالكُ، ولم يدرِ أين يسلكُ"([٦٢])، وليس ثمّة سلوك إلاّ سلوك العلم؛ فصدق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذي أجمل كلّ ما قلناه بجوامع كلمه فقال صحّ عنه عند الإمام مسلم:" مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ".

وإنّ من حسن المناسبة، وجمال التناسق بين هذا المكتوب؛ أن يكون هذا الحديث بذاته: (من سلك طريقاً..) من قيمة الحفاوة به؛ أن سمع به أحد رجال المدينة؛ فدفعه إلى أن يعقد سفراً خاصاً في طلبه، قاصداً أبا الدرداء وهو بدمشق؛ فقال له أبو الدرداء: ما أقدمك يا أخي ؟ فقال: حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أما جئت لحاجة ؟ قال لا. قال أما قدمت لتجارة ؟ قال لا. قال ما جئت إلا في طلب هذا الحديث. قال فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ" [أخرجه أبو دَاوُدَ، وَالتِّرمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ مَرْفُوعًا].

اللهم هبّ لنا من العلم أوفره وأحظّه، وزدناه ولا تنقصناه، وفهّمنا، وبالعمل كمّلنا.

---

٦١) [شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية ص٤٣].

٦٢) [مجموع الفتاوى ١٠/٥٤٤]،